

تفسير البحر المحيط

@ 367 الضلالة بأن تخذله وتخلي بينه وبين ما اختار انتهى . وهذا على منزعه الاعتزالي .
وقرء : وتصله بفتح النون من صلاه . وقرأ ابن أبي عيلة : يوله ويصله بالياء فيهما .
جرباً على قوله : فسوف يؤتية بالياء ، وفي هاء نوله ونصله : الإشباع والاختلاس والإسكان
وقرء بها . .

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا } تقدم مثل تفسير هذه الآية ،
ونزلت قيل : في طعمة . وقيل : في نفر من قريش أسلموا ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين . وقيل :
في شيخ قال : لم أشرك بأحد منذ عرفته ، إلا أنه كان يأتي ذنوباً ، وأنه ندم واستغفر ،
إلا أن آخر ما تقدم فقد افتري إثماً عظيماً ، وآخر هذه فقد ضل ضلالاً بعيداً ختمت كل
آية بما يناسبها . فتلك كانت في أهل الكتاب ، وهم مطلعون من كتبهم على ما لا يشكون في
صحته من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ووجوب اتباع شريعته ، ونسخها لجميع الشرائع ،
ومع ذلك قد أشركوا بالله مع أن عندهم ما يدل على توحيد الله تعالى والإيمان بما نزل ، فصار
ذلك افتراء واختلافاً مبالغاً في العظم والجرأة على الله . .

وهذه الآية هي في ناس مشركين ليسوا بأهل كتب ولا علوم ، ومع ذلك فقد جاءهم بالهدى من
الله ، وبان لهم طريق الرشده فأشركوا بالله ، فضلوا بذلك ضلالاً يستبعد وقوعه ، أو يبعد عن
الصواب . ولذلك جاء بعده : { إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا نَارًا } وجاء بعد تلك
: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُرُونَ أَنْفُسَهُمْ } وقوله : { انظُرْ كَيْفَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ } ولم يختلف أحد من المتأولين في أن المراد بهم
اليهود ، وأن كان اللفظ عاماً . ولما كان الشرك من أعظم الكبائر ، كان الضلال الناشئ
عنه بعيداً عن الصواب ، لأن غيره من المعاصي وإن كان ضلالاً لكنه قريب من أن يراجع صاحبه
الحق ، لأن له رأس مال يرجع إليه وهو الإيمان ، بخلاف المشرك . ولذلك قال تعالى : {
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ
الْبَعِيدُ } وناسب هنا ذكر الضلال لتقدم الهدى قبله . .

{ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا نَارًا } المعنى : ما يعبدون من دون الله ويتخذونه
إلهاً إلا مسميات تسمية الإناث . وكنى بالدعاء عن العبادة ، لأن من عبد شيئاً دعاه عند
حوادثه ومصالحه . وكانوا يحلون الأصنام بأنواع الحلى ، ويسمونها أنثى وإناث ، جمع أنثى
كرباب جمع ربي . قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : المراد الخشب والحجارة ، فهي مؤنثات

لا تعقل ، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث من الأشياء . فيجيب قوله : إلا إناثاً ، عبارة عن الجمادات . وقال أبو مالك والسدي وابن زيد وغيرهم : كانت العرب تسمى أصنامها بأسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة ونائلة . ويردّ على هذا بأنها كانت تسمى أيضاً بأسماء مذكرة : كهبل ، وذي الخلصة . .

وقال الضحاك وغيره : المراد ما كانت العرب تعتقده من تأنيث الملائكة وعبادتهم إياها ، فقليل لهم : هذا على إقامة الحجة من فاسد قولهم . وقال الحسن : لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان ، وفي هذا تعبيرهم بالتأنيث لنقصه وخساسته بالنسبة للتذكير . وقال الراغب : أكثر ما عبدته العرب من الأصنام كانت أشياء منفعة غير فاعلة ، فبكتهم ا□ تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه يعبدون ما ليس هو إلا منفعلاً من كل وجه ، وعلى هذا نبه إبراهيم عليه السلام بقوله : { لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ وَا لَا يَبْصِرُ } . .

وقرأ أبو رجاء : إنّ تدعون بالتاء على الخطاب ، ورويت عن عاصم . وفي مصحف عائشة رضي ا□ عنها : إلا أوثاناً جمع وثن ، وهو الصنم . وقرأ بذلك أبو السوار والهنائي